كان الاختبار مؤثرا ولكنه لم يكن فريدا من نوعه على ما اعتقد . فقد شهدت النزاع بين الضمير والوعي ، في شكل او آخر ، طوال الاعوام الخمسة والثلاثين لانغماسي في المشكلة الفلسطينية . لقد دعاني صناعيون يهود من كبار المليونيريين الى اجتماعات خاصة قالوا لي فيها : «نعتقد ان ما تقوم به أنت ضروري الى آخر حد ، ولكننا لا نستطيع ان نتحمل المجازفة بمستقبل شركاتنا عن طريق الارتباط بجهودك » . وقالت لي اصوات من البروليتاريا اليهودية في نيويورك او لوس انجيلوس — من سائقي سيارات اجرة وغيرهم : « ان ما تقول معقول ، ولكن في الحي الذي نعيش فيه سيسرق الحليب من أمام ابواب منازلنا وسيسبب الجيران المتاعب لزوجاتنا وابنائنا ان نحن قلنا هذه الاشياء » . لقد جلست مع تجار يهود متوسطين عاديين واصحاب مهن حرة في بيوتهم و« استجوبوني » لاعود فاسمع منهم ردا على النحو التالي : « ولكن لماذا لا يقول ولتر كرونكايت* أبدا أيا من الامور التي تقولها انت ؟ » او « ربما كنت على حق ، ولكن من أين يحصل السناتور همفري او السناتور جاكسون على المعلومات التي تفضي الى مثل هذه الاستنتاجات العكسية ؟ » . وقد سمعت مسيحيين اميركيين يقولون : « أنت على حق ، ولكن لا يسعنا ان نجازف بأن نوصف باللاسامية ولذا فاننا لا نتكلم بصراحة عن هذه الامور » . كما أعرف الكثيرين جدا من الاميركيين المتحدرين من أصل عربي وهم حلفاء متحمسون **سرا** ولكنهم لا يقدمون علنا لا التأييد المعنوي ولا الدعم المادي لانهم لا يريدون ان يبدوا وكأنهم يشوشون انصهارهم في « البوتقة » الاميركية .

هذا الاختبار الطويل والكثيف — والواسع — قد ثبت التفكير الذي اخترت به دوري بصورة متعمدة وواعية لاكثر من ثلاثة عقود خلت . ان « الضمير » — حتى « الضمير اليهودي » — في ما يتعلق بفلسطين والفلسطينيين هو حي . ولكنه ليس في حالة حسنة . فقد طمس ببساطة لدى الكثيرين جدا من الاشخاص الشرفاء في الاساس وحتى ذوي الاحساس — بوعي المصلحة الذاتية ، او وعي الدعاوة المقبولة ظاهريا التي تبثها الصهيونية واسرائيل ، او وعي ما هو « واقعي » او « عملي » ، او ربما ما هو حذر ليس الا .

يفترض ان بنيامين دزرائيلي قال ذات مرة عن خصمه الليبرالي الابدي غلادستون ان « ضميره ليس دليله بل شريكه (في الجريمة) » . كان هذا الكلام لاحد السياسيين وهو يشن حملة ضد سياسي آخر . ويجوز لنا أن نكون اكثر تمييزا في كل من التحليل واللغة . فأنا اعتقد أن اعدادا كبيرة جدا من اليهود تدرك **فعلا** وجود هوة بين ضميرها ووعيها للمشكلة الفلسطينية . وثمة ارتباك حول « اللاجئين » ، وحول العسكرية الاسرائيلية ، وحول الاساليب القذرة لعصبة الدفاع اليهودية . لكن الارتباك لا يدفعهم الى العمل ، ولا يعرفون في الواقع الكثير من الحقائق ولذا يقبلون — الى حد كبير — بما يقول لهم الجهاز الصهيوني والسياسيون الحقيرون (الذين يحركهم الجهاز) انه « السبيل العملي الوحيد » ، « الشيء الواقعي الذي ينبغي فعله » ، و « واقع الحالة » .

ان احدا لا يعي هذا التباين ، هذا القلق الروحي المغمور وغير المنتظم البنية اكثر من الاسياد الكبار للدعاوة الصهيونية ، داخل اسرائيل وخارجها . ونعلم الان ان الفنيين

---

* شخصية تلفزيونية اميركية شهيرة .